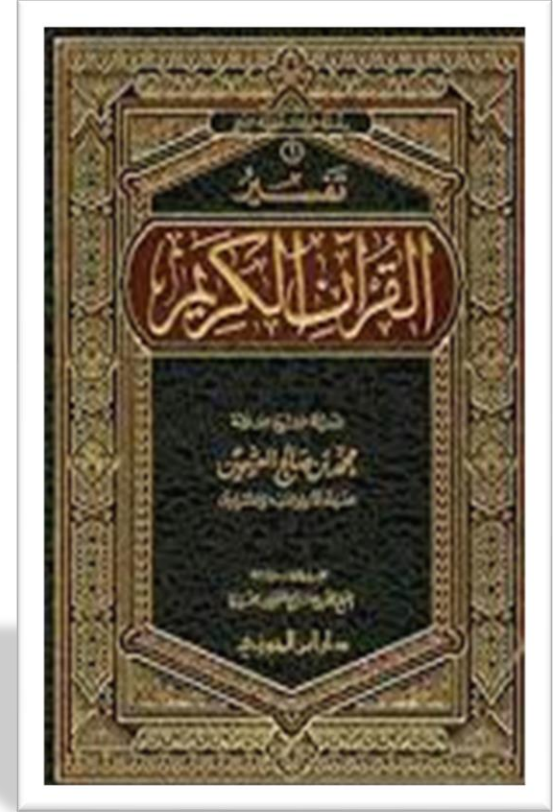


سلسلة
فوائد من تفسير القرآن العظيم

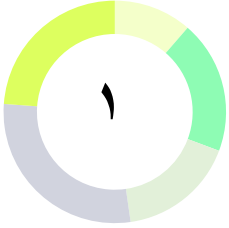
[سورة النساء]

مستقاة من كتاب تفسير القرآن الكريم
للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

ط / دار ابن الجوزي



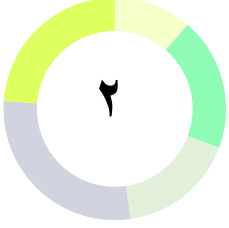
جمع واختيار
منى الشمري



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } النساء: ١

التذكير بنعمة الله عزّ وجلّ بما خلق لنا من الأزواج، لقوله تعالى: { وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا }،
و (من) هنا للتبعيض، ويجوز أن تكون بيانية للجنس؛ أي: من جنسها،
وهذا من النعم الكبيرة، فلو كانت أزواجنا من غير جنسنا فلا يمكن أن نركن إليها أبداً؛
لأنه لا يركن الإنسان إلا إلى من كان من جنسه،
فلو كانت من جنس غير آدمي، فلن يركن إليها الإنسان أبداً،
بل ينفر منها نفوراً شديداً

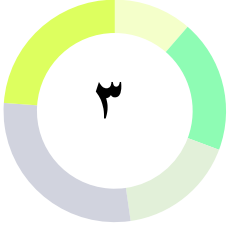


فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} النساء: ٢

إن اليتيم يملك، وملكه تام، لقوله تعالى: {أَمْوَالَهُمْ}، ويتفرع على هذه الفائدة: أن الزكاة واجبة عليه؛ لأن الزكاة تبع للملك، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [التوبة: ١٠٣]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم" فإذا ثبتت الملكية ثبت وجوب الزكاة.

وفي هذا رد على قول بعض أهل العلم القائلين بأنه لا تجب الزكاة في أموال اليتامى؛ لأن اليتيم صغير غير مكلف، فنقول في الجواب عن هذا: إن الزكاة ليست تكليفاً محضاً، بل هي تكليف لحق الغير، وهم الفقراء، فهي شبيهة بالدين؛ ولهذا وجبت في أموال اليتامى والمجانين وإن كانوا غير مكلفين



{وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} النساء: ٢

لماذا قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ}، ولم يقتصر على قوله: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ}؟

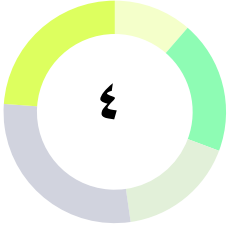
فالجواب: أنه لو قال: "ولا تأكلوا أموالهم إنه كان حوباً كبيراً" لكفى، ولكنه قال: {أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ}؛

لأن ولي اليتيم قد يتستر ويدخل مال اليتيم في ماله، ولا يعلم به أحد،

فلهذا قال: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ}، وعلى هذا فليس قوله: {إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ} قييداً،

بحيث نقول: لو أكل ماله من غير أن يضمه إلى ماله فهو جائز!

بل نقول: إنما ذكر الله هذا لأن بعض الأولياء يتستر فيدخل مال اليتيم في ماله، ولا يعلم به أحد



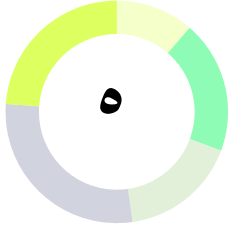
{وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} النساء: ٣

قوله: {أَلَّا تُقْسِطُوا} أي: أن لا تعدلوا في اليتامى، وهناك فرق بين أَقْسَطَ وَقَسَطَ:

فَقَسَطَ بمعنى: جار، وَأَقْسَطَ بمعنى: عدل؛ ولهذا قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢]، وقال: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥].

إذا فقوله: {أَلَّا تُقْسِطُوا} أي: ألا تعدلوا في اليتامى،

وقد كانوا في الجاهلية إذا تولى الإنسان على ابنة عمه اليتيمة جار عليها بأن يتزوجها وهي كارهة، أو يتزوجها بدون مهر، أو بمهر قليل، أو يتزوجها وهو كاره لها، لكنه يريد أن يتحجرها، أو غير ذلك من أنواع الظلم والجور



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا} النساء : ٤

لا يجوز للولي أن يأخذ شيئاً من صداق النساء، لوجهين:

الوجه الأول: أنه أضاف الصداق إليهن، فهو ملكهن.

الوجه الثاني: أنا أمرنا بإيتائهن صداقهن {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ}،

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: فمنهم من قال: يجوز للأب خاصة أن يشترط لنفسه من مهر ابنته ما شاء، وقال بعض

العلماء: لا يجوز للأب ولا لغيره أن يشترط لنفسه شيئاً من المهر.

والذي تؤيده السنة أنه لا يجوز أن يشترط الولي لنفسه شيئاً من المهر، سواء كان الأب أم غيره،

لكن إذا تم العقد وأراد الزوج أن يعطي الأب أو غيره من الأولياء، أو الأم، أو الخالة،

أو ما أشبه ذلك شيئاً من باب الإكرام، فلا بأس به، كما دلت على ذلك السنة،

أما ما كان قبل العقد فكله للمرأة، ولا يحل لأحد أن يشترط منه شيئاً لنفسه.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا} النساء: ٤

لا يحل أخذ شيء من مال الغير بغير طيب نفس منه؛

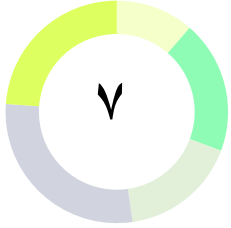
لأن الله اشترط لحل أكله أن يكون عن طيب نفس،

وقد جاءت بذلك السنة صريحة، قال عليه الصلاة والسلام:

"لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه"

وكذلك جاء في القرآن:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ} [النساء: ٢٩]



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۗ نَصِيبًا

مَّفْرُوضًا} النساء: ٧

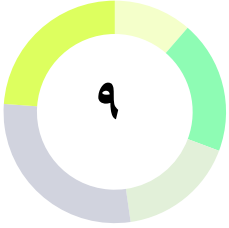
بيان أن الدين الإسلامي هو الذي انتصر للمرأة وأعطاهما حقها بعد أن كانت مهضومة في الجاهلية،
لقوله: {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ}،
ولكن الدين الإسلامي لم يعط المرأة أكثر من حقها،
ولم ينزلها أكثر من منزلتها، بل أعطاهما الحق اللائق بها،
وهو معروف - ولله الحمد - بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} النساء: ٨

الإحسان إلى القرابة أفضل من الإحسان إلى اليتيم والمسكين،
ووجه ذلك: أنه قدمه، ولهذا لما أخبرت إحدى أمهات المؤمنين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنها أعتقت جارية لها،
قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك"،
فدل هذا على أن صلة الرحم أفضل من إعطاء البعيد.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ} النساء: ١١

إن الله أرحم بالإنسان من والديه، لقوله: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}، فالذي يوصيك بالشيء هو أرحم به منك، وأشدَّ عنايةً به منك، ولهذا إذا وصى الإنسان أحداً على أولاده فهو أرحم بأولاده من هذا الوصي.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ^{١١} أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا} النساء: ١١

الميراث يأتي في المرتبة الثالثة مما تركه الميت، لقوله: {مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، ولكن قد دلت السنة على أن تجهيز الميت مقدم على كل ذلك، وعلى هذا يكون الميراث في المرتبة الرابعة،

ودليل السنّة: أن رجلاً وقصته راحلته وهو واقف بعرفة، فسئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه فقال: "اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه" ولم يذكر هل عليه دين، أو وصية، فدل هذا على أن مؤن التجهيز مقدمة على الوصية والدين؛ ولأن التجهيز يتعلق ببدن الميت، فكان مقدماً على الوصية والدين



{مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ^{١١} أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا} النساء: ١١

إن الميراث لا يكون إلا بعد الدين والوصية، لقوله: {مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، ولكن الدين قد يستغرق جميع التركة، فلا يبقى للورثة شيء، وأما الوصية فلا تستغرق جميع التركة؛ لأن أقصى ما يمكن الثلث، وما زاد على الثلث فهو إلى الورثة، وعلى هذا فيفرق بين الدين والوصية، وهو: أن الدين قد يستغرق المال فلا يبقى للورثة شيء، والوصية لا يمكن أن تستغرق المال؛ لأن ما زاد على الثلث موقوف على إجازة الورثة



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ} النساء: ١٢

إن الوصية المضار بها لاغية، لقوله: {غَيْرِ مُضَارٍّ}،
ووصية المضارة حرام، وفيها إثم كبير،
حتى إنه روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -:
"إن الرجل أو المرأة ليعملان في الصالحات أربعين سنة، ثم يجوران في الوصية فيعذبان"،
وهذا دليل على أن الجور في الوصية من كبائر الذنوب



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} النساء: ١٣

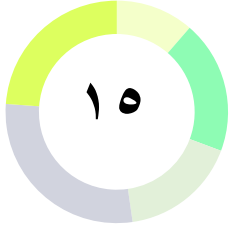
حدود الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: حدود واجبات، وحدود محرمات،
أما الحدود الواجبات فهي ما أوجبه الله على عباده بشروطها وأركانها وواجباتها،
وأما حدود النواهي فهي ما حرمه الله على عباده؛ كالزنى، واللواط، وشرب الخمر، وقتل النفس، وغير هذا،
قال أهل العلم: وإذا قال الله: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا} [البقرة: ٢٢٩] فهي من حدود الأوامر،
وإذا قال: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} [البقرة: ١٨٧] فهي من حدود النواهي،
فالزنى مثلاً نقول: هو حد من حدود الله، فلا تقربه،
والصلاة حد من حدود الله، فلا تتعده؛ أي: لا تتجاوزه.
والآية هنا من حدود الأوامر



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} النساء: ١٤

تحريم الوصية للوارث؛ لأنك إذا أوصيت للوارث فقد تعديت الحدود،
فإذا أوصت المرأة لزوجها بالثلث، كان له على مقتضى الوصية ثلث ونصف،
وهذا تعد للحدود، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
"إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث"



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} النساء: ١٧

وجوب المبادرة بالتوبة، لقوله: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}،
ووجهه: أن المراد بالقرب هنا الموت، والموت ليس معلوماً وقته،
وإذا كان كذلك كانت المبادرة بالتوبة واجبة؛
لأن الإنسان لا يدري ما يعرض له؛ ولأن الإنسان إذا أصر على المعصية فإنه يقسو قلبه،
وتكون هذه الصغيرة من صفات الذنوب كبيرة



{وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} النساء: ٢١

العقود عهود، لقوله: {وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}،
ولا شك أن العقود عهود، وعلى هذا فيدخل الوفاء بالعقد تحت قوله تعالى:
{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [النحل: ٩١]، وتحت قوله: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤]،
والوفاء بالعقود يعم الوفاء بأصل العقد وما أضيف إليه من شرط وصفة؛
لأن الشروط التي تشترط في العقود هي من أوصاف العقود،
فإذا وجب الوفاء بالأصل وجب الوفاء بالصفة



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} النساء: ٢٥

اشتراط أن يكون النكاح نكاح إحصان لقوله: {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}، ونكاح الإحصان: هو الذي تمت شروطه وانتفت موانعه، فإن لم تتم شروطه فهو سفاح، وإن وجدت موانعه فهو سفاح.

مثال الأول: لو تزوج امرأة مكرهاً، فهذا النكاح سفاح، لفوات الشرط.
ومثال الثاني: لو تزوج امرأة في عدتها فهذا النكاح سفاح لوجود المانع وهو العدة



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} النساء: ٢٥

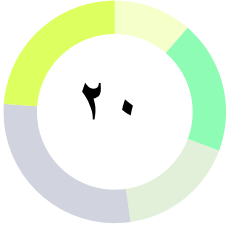
تحريم اتخاذ الأخدان من الرجال، لقوله: {وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}،
وحتى لو لم يحصل الزنا،
فإن اتخاذ الأخدان - يعني: الأصحاب والأصدقاء - سبب للزنا،
ولهذا نهى عن الخلوة بالمرأة خوفاً من ذلك،
ونهي أن تخضع بالقول خوفاً من ذلك



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} النساء: ٢٧

الإشارة إلى انحطاط مرتبة الذين يتبعون الشهوات،
حيث جعلهم الله أتباعاً تقودهم الشهوات،
ومن الذل أن يكون الإنسان تابعاً للشهوات،
لأن العزة أن يكون الإنسان متبوعاً،
فإذا كان تابعاً فمعناه أن شهواته ملكته حتى صار تابعاً،
وكأنه مجبر على ذلك.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} النساء: ٢٨

وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} الإرادة هنا شرعية، وليست كونية؛ لأن الله يقدر على العبد أشياء تثقل عليه العبادات بسببها، لكنه شرعاً لا يريد منا أن نشق على أنفسنا، بل إنه لما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، نهاه الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: "إن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً" وقال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه أيضاً: "أكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا" فالإرادة إذاً إرادة شرعية



{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} النساء: ٤١

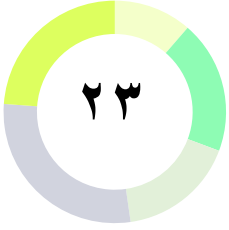
- قوله: {مَنْ كُلِّ أُمَّةٍ}: أمة جاءت في القرآن الكريم لعدة معان:
- المعنى الأول: الطائفة، كهذه الآية؛ وكقوله تعالى: {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} [القصص: ٢٣].
 - المعنى الثاني: الإيمان؛ كقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا} [النحل: ١٢٠].
 - المعنى الثالث: الزمن؛ كقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥].
 - أي: بعد زمن ومقداره بضع سنين، كما قال تعالى: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بضع سنين} [يوسف: ٤٢].
 - المعنى الرابع: الدين؛ كقوله: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المؤمنون: ٥٢].



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} النساء: ٤٩

إن تزكية الغير لا بأس بها؛ لأن النهي أو الإنكار منصب على تزكية النفس،
أما لو زكى غيره فإن ذلك لا بأس به، وهنا لا يزكى غيره بمجرد المظهر،
ولا بد من خبرة، فلا يكفي أن ترى مظهر الشخص وتقول: إنه عدل ثقة، بل لا بد من خبرة؛
لأنه قد لا يكون عدلاً، وقد يكون مرئياً منافقاً مخادعاً،
وربما يكون عدلاً في دينه ولكن عنده سوء حفظ،
فإذا زكّيته فيما يتعلق بالخبر كالشهادة مثلاً دون أن تخبره صار ذلك شهادة بما لا تعلم



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{الْم تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}

النساء: ٥١

الجبت: كل ما لا فائدة فيه في الدين، ومنه السحر والكهانة والطرق، والعيافة وما أشبه ذلك، فإن هذه كلها من الجبت.

وأما الطاغوت: فالطاغوت كل ما طغى به الإنسان فهو طاغوت، قال الله {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} [البقرة: ٢٥٧]،

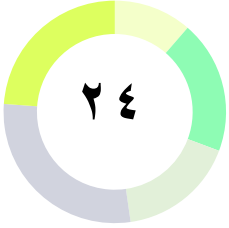
فأئمة الكفر ودعاة الكفر طاغيت، والشيطان طاغوت،

ولهذا قال عمر - رضي الله عنه -: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"،

يعني: أن السحر فرد من أفراد الجبت والشيطان فرد من أفراد الطاغوت،

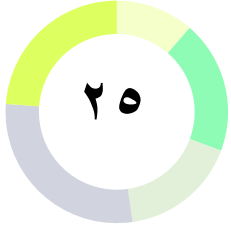
وإلا فإن التعريف العام للطاغوت ما ذكره ابن القيم رحمه الله:

كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.



{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} النساء: ٥٤

الحسد من كبائر الذنوب؛ لأنه يأكل الحسنات، ولا يستفيد الحاسد شيئاً، وفي الحسد مفسد:
أولاً: أنه من كبائر الذنوب، وكبائر الذنوب لا تغفر إلا بتوبة.
ثانياً: أنه اعتراض على قضاء الله وقدره؛ لأن كونك تكره أن يعطي الله هذا الإنسان شيئاً،
هذا اعتراض على الله، ولهذا قال: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}.
ثالثاً: أن فيه عدواناً على المحسود، وهذا في الغالب وليس دائماً،
فقد يقوم في قلب الإنسان حسد لكن لا يعتدي على المحسود لا بقول ولا بفعل،
ولهذا جاء في الحديث: "إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ"



{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} النساء: ٥٤

رابعاً: المشابهة لليهود: فمن مضار الحسد أنه مشابهة لليهود، وبأس الخصلة خصلة يكون فيها الإنسان مشابهاً لليهود.
خامساً: أن الحاسد يكون دائماً في قلق؛ لأن نعم الله على غيره تترى،
فكلما تجددت نعمة على غيره نبغ في قلبه الحسد، فيكون في قلق مستمر.
سادساً: أن الحاسد في الغالب يستحسر، ويتصور أنه عاجز عن أن يلحق بالمحسود،
فتجده يستحسر ولا يحاول أن يصل إلى الفضائل، لكن لو أعرض عن الناس ومن زاده الله من فضله، وحاول هو أن يسعى في
النعم؛ لسلم من هذا كله.
سابعاً: إحداث العداوة والبغضاء بين الناس؛ لأن الحاسد في الغالب لا يخلو من عدوان،
والعدوان على الغير يؤدي إلى العداوة والبغضاء.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} النساء: ٥٤

وأما دواء الحسد فهو:

أولاً: أن يرضى الإنسان بقضاء الله وقدره، وأن يعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فإذا علم ذلك اطمأن ولم يعترض على الله سبحانه فيما آتاه من فضله.

ثانياً: أن يعلم أن حسده لن يمنع فضل الله عن المحسود أبداً، ولو كان يمنع فضل الله عن المحسود لكان كل إنسان يحسد غيره.

ثالثاً: أن يتجه إلى الله عزّ وجلّ في سؤاله أن يعطيه مثلما أعطى هذا، كما قال تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا

وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ٣٢].

رابعاً: أن يذكر عواقب الحسد وشؤمه وعقوبته، حتى يخشى هذا الشؤم والعقوبة فيدعه. خامساً: أن يعلم أنه من أخلاق اليهود.

والمهم أن الإنسان إذا تأمل مضاره كان هذا التأمل دواء يحتمي به عن الحسد.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَوُجِدُوا فِيهَا ظِلَالًا} النساء: ٥٧

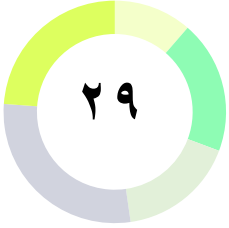
{وَوُجِدُوا فِيهَا ظِلَالًا} الظل هو ما فاءت عنه الشمس، وإن شئت فقل: هو ما لم تحله الشمس، سواء كان فيئاً أم ظللاً من أول النهار، وأما الظليل فهو المؤدي معناه تماماً؛ لأن من الظل ما ليس بظليل، فلو جلست تحت ظل جدار في أيام الصيف فأنت في ظل، لكن ليس هو ظليل؛ لأن لفح الحر يأتيك، لكن الجنة ظل ظليل.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} النساء: ٥٨

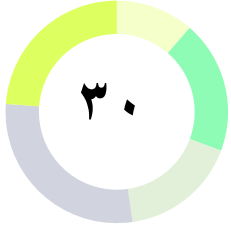
وقوله: {أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} العدل في الأصل الاستقامة،
ومنه العصا المستقيمة التي ليس فيها ميل، ولا حكم أعدل من حكم الله،
وعلى هذا فالحكم بالعدل أن تحكم بينهم بشريعة الله، هذا هو الحكم بالعدل؛ لأننا نعلم أنه لا أحد أحسن من الله حكماً،
ولا أحد أعدل من الله فضلاً، فإذا {أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}
أي: بشريعة الله



{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء: ٥٩

١- وجوب طاعة الله، وإن خالفت الهوى، وإن خالفت الواقع، وإن خالفت الحال، خلافاً لمن يمتثل طاعة الله إذا وافقت الواقع ولم يجد معارضاً؛ لأن من قيد طاعة الله بهذا، فهو في الحقيقة لم يطع الله، وإنما اتبع هواه.

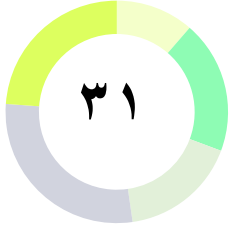
٣ - وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - استقلالاً، وأن طاعته كطاعة الله؛ لقوله: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}؛ لأنه أعاد الفعل: {أَطِيعُوا}، ولم يجعل طاعة الرسول تابعة لطاعة الله



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء: ٥٩

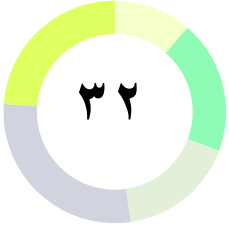
الرد على من كفر بالسنة وقال: لا نقبل إلا ما جاء في القرآن؛
لأن الله جعل طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مستقلة،
والحقيقة أن الذي يقول هذا القول لم يتبع ما جاء به القرآن؛
لأن القرآن أمر بأن يتبع الرسول عليه الصلاة والسلام فقال:
{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ } [الأعراف: ١٥٨]
ولم يقل: اتبعوه إن وجدتم لذلك أصلاً في القرآن،
بل هو أمر عام



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء: ٥٩

بطلان توهم من حكّم القوانين الوضعية، وظن أن الأمة تصلح بها،
فإننا نقول: هذه القوانين الوضعية ما كان صالحاً موافقاً للكتاب والسنة فصلاحه وإصلاحه ليس بذاته،
ولكن لموافقته للكتاب والسنة، ولا يصح أيضاً أن نجعل هذا الحكم من القانون الوضعي،
بل هذا الحكم هو حكم الكتاب والسنة، فكوننا إذا وجدنا أشياء مصلحة من القوانين منسوبة إلى وضع البشر
فهذا يعتبر سرقة من الشرع، ومن الحكم الإلهي؛
لأن كل شيء يصلح للخلق فمبناه على كتاب الله وسنة رسوله

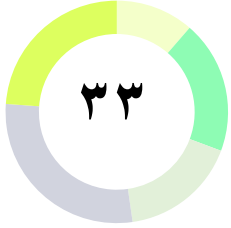


فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا} النساء: ٦٦

الأحكام الشرعية مواعظ، ولهذا سمى الله القرآن موعظة، فقال: {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)} [يونس: ٥٧].

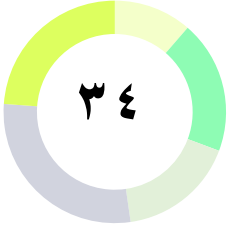
ووجه كون الأوامر والنواهي موعظة: أن الإنسان يتعظ بها فيمثل الأمر ويجتنب النهي، وكثير من الناس لا يفهم من كلمة موعظة إلا ما كان مقروناً بالترغيب أو الترهيب، وهذا ليس بشرط.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

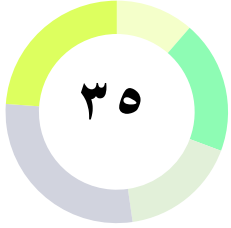
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} النساء: ٧١

أنه يجب على الإنسان أن يكون كيساً فطناً،
ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "المؤمن كيس فطن"
وقوله: "كيس" بينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه: "من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"
يعني: أنه حازم، وقوله: "فطن" أي: عنده حذر.
لكن لا يجوز أن نسيء الظن بمن ظاهره العدالة،
ونقول هذا من أخذ الحذر، كما قال أهل العلم: يحرم الظن السوء بمسلم ظاهره العدالة،
أما من كان ظاهره الفسق فلنا أن نأخذ الحذر منه؛ لئلا يخدعنا.



{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} النساء: ٧٢

في قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ} دليل على أن التكاثر في الخير، والتراجع عنه من أسباب النفاق، وهو كذلك، والتباطؤ عن الخير والتكاثر عنه ليس سبباً للنفاق فحسب، بل هو سبب للضلال والعمى، والعياذ بالله! كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (١١٠) [الأنعام: ١١٠]، وقال الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} (٥) [ق: ٥]، ولهذا يجب على الإنسان متى تبين له الحق أن يأخذ به، وألا يتهاون، لئلا يصيبه ما أصاب هؤلاء، بل يسارع ويعمل، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع.



{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} النساء: ٧٧

ذم من خشي الناس كخشية الله أو أشد، لقوله: {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}،
وعلاوة ذلك: أن الإنسان يترك ما أوجب الله عليه خوفاً من الناس،
أو يفعل المحرم خوفاً من الناس، فإن هذا مذموم، وقد يصل أحياناً إلى الشرك بالله عز وجل،
فالواجب على العبد ألا يخشى الناس كخشية الله؛
لأن الناس كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:
"اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،
ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"



{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} النساء: ٧٧

التزهيد في الدنيا، لقوله: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ} وصدق الله ورسوله، فإن متاع الدنيا قليل،

فاسأل من عمّر مائة سنة مثلاً، وقيل له: كم تقدر أنه مضى من عمرك؟

فسيقول لك: أنا في الوقت الذي أنا فيه كأني ولدت الآن، وكل الذي مضى قد ذهب، فهو إذاً عمر قليل،

وكذلك ما يوجد من الدنيا بالنسبة للآخرة فهو قليل ليس بشيء،

فإن جئت - مثلاً - إلى الثمار تجدها تأتي زماً وتغيب آخر، والفواكه والزروع كذلك، والأمطار كذلك، كلها قليلة،

وهذا من حكمة الله عز وجل؛ لأن الله لو أتم لنا النعمة في هذه الدنيا من كل وجه لاغتررنا بها، وقد أشار الله إلى هذا في قوله:

{وَلَوْ أَنَّا كُنَّا نَسُوا أُمَّةً وَاحِدَةً} [الزخرف: ٣٣] يعني: على الكفر {لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا} من فضة ومعارج

عليها يظهر (٣٣) ولبيوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون (٣٤) وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك

للمتقين (٣٥) [الزخرف: ٣٣ - ٣٥].



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ط وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ؕ} النساء: ٧٩

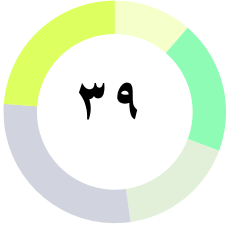
بيان أن ما يصيبنا من الحسنات فهو محض فضل من الله،
لقوله: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}،
ويدل لذلك: أن الحسنات التي تصيبك إما أن تكون ابتداءً، وإما أن تكون ثواباً،
فإن كانت ابتداءً فكونها فضلاً واضحة،
وإن كانت ثواباً على عمل فإن توفيقنا للعمل الذي كانت هذه الحسنات ثواباً له من الله عز وجل.
إذاً: فهي من الله سواء كانت ابتداءً أم ثواباً.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} النساء: ٨٠

الاحتجاج بالسنة، وأنها كالقرآن في وجوب العمل بها،
ولكن نحتاج في السنة إلى إثبات نسبتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛
لأنه ما دام أنها لم تثبت فإنها ليست من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم



{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} النساء: ٨١

وقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} التوكل على الله قال العلماء:
هو صدق الاعتماد على الله عز وجل، مع الثقة به، وفعل السبب الذي أمر به، فهو مكون من ثلاثة معانٍ:
الأول: صدق الاعتماد على الله.
الثاني: الثقة بالله عز وجل؛ لأن التوكل لا ينفع إذا لم يكن صاحبه واثقاً بوعد الله،
وقد قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣].
الثالث: فعل الأسباب التي أمر بها، فمن لم يفعل الأسباب فهو ليس متكلاً،
ولكنه متوكل، فلا بد من فعل الأسباب.
وقولنا: التي أمر العبد بها: احترازاً من فعل الأسباب التي لا حقيقة ولا أصل لها،
كما يفعله المشعوذون وأصحاب التمام غير المباحة، وما أشبه ذلك.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} النساء: ٨٨

الإنكار على المؤمنين في الاختلاف في المنافقين،
لقوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ}.

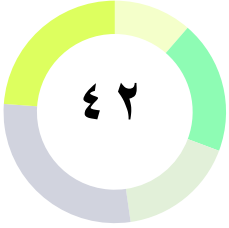
ويترتب على هذه الفائدة أن هذا يوحي بدم الاختلاف،
وذم الاختلاف أمر ثابت؛ لأن هذه الأمة أوصيت بأن تقيم الدين ولا تتفرق فيه، والاختلاف تفرق،
بل قد قال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)}
[آل عمران: ١٠٥]



{أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ^ط وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} النساء: ٨٨

إن من قدر الله إضلاله فإنه لا يمكن لأحد أن يقوم بهدايته، لقوله: {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}.
فإن قيل: هذا يقتضي أن يكون للعاصي حجة على معصيته، فيقول: {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}.

فالجواب عن هذا: أن يقال: لا حجة في هذا للعاصي إطلاقاً،
وذلك لأن الإنسان لا يعرف أن الله أضله إلا بعد أن يضل هو،
وضلاله هو صادر عن إرادته؛ أي: إرادة الإنسان وقدرته، فهو الفاعل، وهو الذي أضل نفسه،
لكن لا يعلم أن الله قدر عليه الضلال إلا بعد وقوعه،
فكيف يحتاج بحجة لا يعلم بها إلا بعد وقوعها؟! فهذا باطل

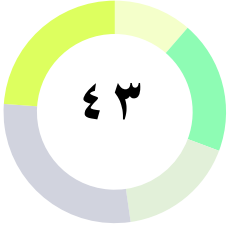


فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا} النساء: ٩٢

إن الدية في الخطأ لا تجب على القاتل؛ لأنه لم يقل يسلمها بل قال: {مُسَلَّمَةٌ}،
فعلى من تجب؟

الجواب: تجب على العاقلة، وهم ذكور العصابة الأغنياء،
ويجتهد الإمام والقاضي في تحميل كل منهم ما يناسب حاله،
فالأقرب يحمل أكثر من الأبعد،
والغني يحمل أكثر من المتوسط،
والفقير ليس عليه شيء؛ لأنه فقير



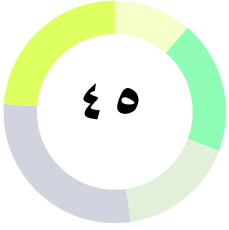
فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} النساء: ٩٣

في هذه الآية الكريمة دليل على أن قتل المؤمن عمداً من كبائر الذنوب؛ لورود الوعيد عليه، وكل ذنب رُتب عليه الوعيد والعقوبة فهو من كبائر الذنوب. ولكن من قتل مؤمناً متعمداً وتاب تاب الله عليه، وما ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له" محمول على أن المراد لا توبة له باعتبار حق المقتول؛ ولأن القتل عمداً يتعلق فيه ثلاثة حقوق: حق الله، وحق أولياء المقتول، وحق المقتول،

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} النساء: ٩٣

أما حق الله فلا شك أنه يسقط بالتوبة بنص القرآن:
قال الله: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨)
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ} [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]،
وأما حق أولياء المقتول فيسقط بتسليم القاتل نفسه لهم؛
لأن حقهم أن يقتلوه وقد سلم نفسه،
وأما حق المقتول فالمقتول قد مات فبقي حقه؛ لأنه لا يعلم سماحه،
فيحمل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما على هذا؛ أي: أنه لا توبة له باعتبار حق المقتول،
على أن القول الصحيح أن له توبة حتى باعتبار حق المقتول؛
لأن الله تعالى يوفي عنه يوم القيامة، حيث تاب توبة نصوحاً.



{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} النساء: ٩٥

نفي التساوي بين الناس، والعجب أننا نسمع من يدندن كثيراً
فيقول: إن دين الإسلام دين المساواة، وهذا غلط على دين الإسلام،
فدين الإسلام ليس دين المساواة، ولكنه دين العدل،
والعدل هو: إعطاء كل أحد ما يستحقه؛ ولذلك تجد أكثر ما في القرآن نفي المساواة، وليس إثباتها؛
كقوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [الرعد: ١٦]،
وكقوله: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]،
وقوله: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ} [الحديد: ١٠]
وهلم جرا.

{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} النساء: ٩٥

حسن الاحتراس في كلام الله عز وجل، وجهه: أن الله لما ذكر فضل المجاهدين على القاعدین، فربما يتوهم الواهم نزول درجة القاعدین من المؤمنین، فأزال الله هذا الوهم بقوله: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}، وهذه طريقة القرآن، وانظر إلى المثال الآخر المطابق لهذا، وهو قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [الحديد: ١٠]، وانظر إلى المثال الثالث: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩] الشاهد في قوله: {وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}، فهذه ثلاثة أمثلة تفيد أنه من بلاغة الكلام الاحتراس بدفع ما يتوهم وقوعه.

{دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً^٢ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} النساء: ٩٦

إثبات الرحمة لله، والرحمة التي أضافها الله إلى نفسه نوعان:
 منها صفة لله، ومنها مخلوق من مخلوقات الله، سماه الله تعالى "رحمة"،
 فمن الأول: قول الله تبارك وتعالى: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف: ٥٨] فهذه صفة،
 ومن الثاني: قوله تبارك وتعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى: ٢٨]
 فالمراد بالرحمة هنا ما يكون أثراً للمطر من النبات وغير النبات،
 ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَبِئْسَ فِيهَا رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)} [آل عمران: ١٠٧]،
 فالمراد بالرحمة هي: الجنة، بدليل قوله: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] وهذه رحمة مخلوقة،
 ومنه قوله في الحديث القدسي للجنة: "أنت رحمتي أرحم بك من أشياء" فتبين بهذا أن الرحمة تنقسم إلى قسمين: مخلوقة،
 وصفة، فالمخلوقة من جملة المخلوقات، شيء بائن من الله عز وجل لا ينسب إليه إلا نسبة خلق وإيجاد، لكنه من آثار الرحمة
 التي هي الصفة، وأما الرحمة التي هي الصفة فهي صفة تابعة للذات؛ أي: لذات الله عز وجل.



{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } النساء: ٩٧

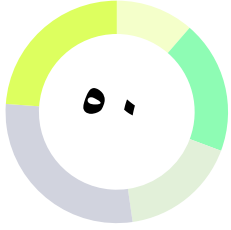
للملائكة أجسام تقبض الأرواح، وتخاطب وتتكلم، وكلامها مفهوم،
خلافًا لمن يقول: إن الملائكة هي القوى الخيرة، وأن الشياطين هي القوى الشريرة،
فإن هذا قول باطل يكذبه القرآن والسنة والإجماع،
قال الله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ} [فاطر: ١]،
ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

فالصحيح الذي يجب علينا اعتقاده: أن الملائكة أجسام،
وأنهم يقومون ويفعلون، ويصعدون وينزلون بأمر الله عز وجل.



{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} النساء: ١٠١

قصر الصلاة ثابت في كل ما يسمى ضرباً في الأرض،
لقوله: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} وهذا مطلق، لم يُقيد بيومين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة،
فدل ذلك على أن كل ما يسمى ضرباً في الأرض فإنه تقصر فيه الصلاة،
وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،
وقال: "كل ما يسميه الناس سفراً وضرباً في الأرض فإنه سفر، يثبت له أحكام السفر"،
ودليله: الإطلاق، ودليل آخر أنه ثبت في صحيح مسلم أن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:
"كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج ثلاثة أميال أو فراسخ صلى ركعتين"



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} النساء: ١٠٣

الإشارة إلى أن الوقت مقدم على جميع الشروط،
وجهه: أن الله تعالى لما ذكر صلاة الخوف ثم صلاة الأمن بين أن هذا من أجل مراعاة الوقت،
والأمر كذلك؛ أي: أن الوقت مقدم على جميع الشروط،
ولهذا إذا لم تجد ماءً فتيّم، حتى تصلي في الوقت،
وإذا لم تجد ماءً ولا تراباً صل على حسب حالك،
وإذا لم تجد ثوباً تستر به العورة صل على حسب حالك،
ولا تنتظر حتى تحصل على ثوب؛
لأن الوقت مقدم على كل شيء

{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَنَ كَمَا تَأْمُونَنَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ} النساء: ١٠٤

ينبغي للإنسان إذا عمل العمل الصالح أن يكون راجياً، لقوله: {وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} ويكون هذا الرجاء عند ابتغاء القوم وطلبهم،

وهكذا ينبغي للإنسان إذا وفقه الله للعبادة أن يكون راجياً؛ أي: راجياً ثوابها؛ لأن من بشرى الإنسان أن يوفق للعبادة،

فمن وفق للعبادة على ما يرضي الله فهي بشرى بالقبول، كما أن من وفق للدعاء فهو بشرى بالإجابة،

قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]،

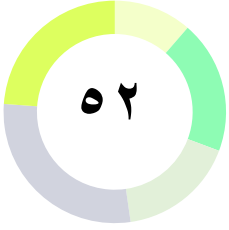
ولهذا قال: {وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} وهذا ربما يكون الفيصل في مسألة تغليب الرجاء على الخوف، فإن السالكين اختلفوا

هل الأفضل للسالك إلى الله عز وجل أن يقدم الرجاء أو أن يقدم الخوف أو أن يكونا سواءً؟

فمنهم من أطلق أن الأفضل أن يكونا سواءً كالإمام أحمد رحمه الله، كما جاء عنه أنه قال:

الخوف والرجاء بمنزلة جناحي الطائر، إن انخفض أحدهما تعلّى الآخر، فلا بد أن يكونا سواءً،

وقال: ينبغي على العبد أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً فأيهما غلب هلك صاحبه

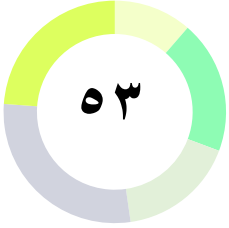


{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } النساء: ١٠٥

جواز كتابة القرآن، وهذا أمر متفق عليه بين الأمة، بل قد تكون كتابته واجبة، ولكن على أي وجه يكتب؟ هل بالحروف اللاتينية أم بالحروف العربية أو بالخط الكوفي أو بالخط الفارسي أو بأي شيء؟

الجواب: أحسن ما يكتب فيه أن يكون على الحرف العثماني، هذا أحسن ما يكون، ولكن هل يجوز أن يكتب على غير هذا الوجه بالقواعد المعروفة عند الناس، مثل "الصلاة" نكتبها لام ألف وبعدها هاء، "الزكاة" كذلك، أو أنه لا بد نكتبها على الخط العثماني؟

للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:



{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} النساء: ١٠٥

للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يجب أن يكتب بالخط العثماني، وإن خالف القواعد المعروفة العرفية.

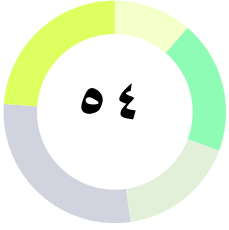
والثاني: يجب أن يكتب حسب القواعد العرفية حتى لا يخفى على العامة؛

لأن العامة لولا أنهم يتلقون الزكاة من أفواه العلماء من هذا اللفظ لنطقوا بها حسب الكتابة: الزكوات،

فيجب أن يكتب بالخط العرفي حتى لا يشتبه على الناس.

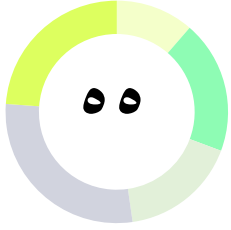
والقول الثالث: التفصيل: فإذا كان المقصود التعليم فليكتب بالخط العرفي؛ لأنه أقرب للفهم،

وإذا كان المقصود التلاوة ونحن نتكلم أو نكتب لقوم يعرفون القرآن تلاوة فيكون بالخط العثماني



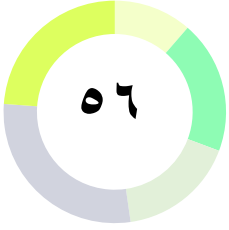
{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} النساء: ١٠٥

ولم نر أحداً جوز أن يكتب القرآن بشكل رسوم، أو سيارات،
أو مثل إذا كتب: {وَالطَّيْرُ} [الأنبياء: ٧٩] كتب بصورة طائر،
{الْجِبَالُ} [الأنبياء: ٧٩] يكتبها بصورة جبل،
{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)} [القلم: ١] يكتبها بصورة قلم،
هذا ما رأينا أحداً فعله، وهو إلى الاستهزاء بكتاب الله أقرب منه إلى التعظيم،
والتعظيم له حدود فلا بد أن يكون بالحدود الشرعية.



{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} النساء: ١١٠

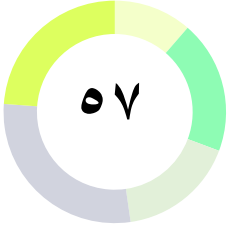
قوله: {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} أي: يطلب مغفرة الله عز وجل بحاله ومقاله، أما المقال فظاهر، كأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله، وأما الحال: فبأن يكون آتياً بشروط التوبة الخمسة، وهي:
الأول: الإخلاص، بأن لا يحمل على التوبة مراعاة أحد من الناس.
الثاني: أن يندم، ويقع في نفسه حسرة على فعل الذنب.
الثالث: أن يقلع عن الذنب.
الرابع: العزم على ألا يعود.
الخامس: أن يكون في وقت التوبة؛ أي: في الوقت الذي تقبل فيه التوبة



{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} النساء: ١١٢

إن السيئات تتضاعف بتعدد أوصافها، لقوله: {بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}، وهذا هو الواقع وهو العدل، رأيت من قذف قريباً له ومن قذف أجنبياً عنه، كلاهما قد قذِفَ، لكن انضم إلى قذف القريب قطيعة الرحم، فتكون هذه السيئة متضاعفة فلا جرم أن يتضاعف إثمها؛ لأن الأحكام مرتبة على أوصافها.

وكذلك من تصدق على بعيد وتصدق على قريب، ففعله كله صدقة، لكن صدقته على البعيد صدقة فقط، وعلى القريب صدقة وصلة، فالأعمال السيئة تتضاعف بتضاعف الأوصاف، وكذلك الأعمال الصالحة تتضاعف بتضاعف الأوصاف.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ} النساء: ١١٣

إن الإنسان إذا منع من الضلال بسبب أو بغير سبب فذلك من فضل الله عليه، ويتجلى ذلك أن الإنسان أحياناً يرى رأياً في مسألة من المسائل أنها حرام أو حلال ثم يقيض الله له من يناظره في هذه المسألة حتى يتبين له الحق ويأخذ به، فهذا من نعمة الله عليه، ومن فضل الله عليه، وأحياناً ينقدح له الحق دون مناظرة إما بالتأمل والتدبر، وإما بأن ينظر إلى أشياء أخرى يقيسها عليها أو غير ذلك.

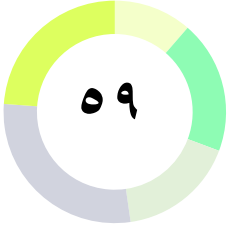
المهم: أن الإنسان متى تبين له الحق بأي سبب فإن ذلك من نعمة الله عليه، فليحمد الله على ذلك.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء: ١١٤

بيان فضل الله عزّ وجلّ على عباده، حيث سمي ثوابهم على العمل أجراً، بمنزلة أجرة الأجير التي لا بد أن يُعطأها؛ لأنه هو مستحق لها، وهذا من نعمة الله أن يسمي الثواب الذي جعله على العمل أجراً، بمنزلة أجرة الأجير اللازمة، مع أن الله هو الذي منّ بالعمل، وهو الذي منّ بالثواب، وبهذا يزول الإشكال في مثل قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} [البقرة: ٢٤٥]



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} النساء: ١١٥

فهذه الآية فيها التحذير والوعيد على من شاق الرسول عليه الصلاة والسلام،
واتبع غير سبيل المؤمنين، بأن الله تعالى يعاقبه على ذلك بعقوبتين:

العقوبة الأولى: أن الله يوليه ما تولى ويتخلى عنه.

والعقوبة الثانية: أن الله يصلية جهنم، وجهنم اسم من أسماء النار.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۗ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} النساء: ١١٥

أنه مع التردد لا تقوم الحجة، لقوله: {مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ}،
لكن على الإنسان أن يتبين ولا يقول: أنا ما اتضح لي الحق ولا أعرفه، يجب أن يبحث،
وهذا يرد علينا، ففي بعض البلاد الإسلامية يكون فيها عوام مشركون شركاً صريحاً لا إشكال فيه،
فيعبدون القبور، ويستغيثون بالأموات، وغير ذلك مما يأتونه من الشرك الأكبر،
ويقال لهم: إن هذا شرك، لكن لا يبحثون،
فهؤلاء لا يعذرون بجهلهم؛
لأنهم لم يطلبوا التبين، وهم مفرطون بلا شك.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا} النساء: ١٢٢

نشهد لكل مؤمن عمل الصالحات بأنه يدخل الجنة، لقوله تعالى: {سَنُدْخِلُهُمْ} ثم قال: {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}

وهذا على سبيل العموم، فإننا نشهد لكل مؤمن عامل للصالحات أنه سيدخل الجنة،

لكن لا نطبق الشهادة هذه على جميع أفراد العموم،

بمعنى: أن نخص واحداً بعينه إلا من شهد الله له بذلك، أو شهد له رسوله - صلى الله عليه وسلم -، أو أجمعت الأمة.

إذاً: الشهادة لمعين بالجنة لا تكون إلا لأحد ثلاثة:

الأول: من أخبر الله عنه بأنه من أهل الجنة.

والثاني: من أخبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

والثالث: من أجمعت الأمة عليه؛ أي: على الثناء عليه وأنه من أهل الخير وأنه من أهل الحق.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

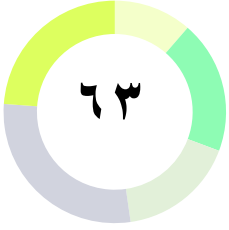
{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} النساء: ١٢٤

في النواة ثلاثة أشياء كلها مضرب للمثل في القلة: الفتيل، والنقير، والقطمير.

أما الفتيل فهو: الحبل الذي في مجرى النواة من جهة بطنها.

وأما النقير فهو: النقرة التي في ظهرها.

وأما القطمير فهو: الغشاء الذي يكون عليها.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء: ١٢٥

إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وهذه منقبة عظيمة له، وهل اتخذ غيره؟

الجواب: نعم، وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،
لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"
الإشارة إلى أن الخلّة أعلى رتبة من المحبة لاختصاص إبراهيم ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بها،
ولو كانت بمعنى المحبة؛ أو في مرتبتها لكانت ثابتة لجميع من يستحق المحبة،
ومن المعلوم أنه لا يصح أن تقول: إن الله اتخذ المؤمنين أخلاء؛ لأن الخلّة خاصة،
ومن ثم نعلم خطأ من يقول: إبراهيم الخليل ومحمد الحبيب؛
لأن هذا تنقص للرسول عليه الصلاة والسلام،
حيث أنزل مرتبته من الخلّة إلى المحبة التي يشترك فيها حتى المؤمن المتقي المقسط الصابر.



{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء: ١٣٦

الضلال يتفاوت، بعضه أشد من بعض، لقوله: {فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}.

إذا: هناك ضلال ليس ببعيد، وهو كذلك، فالضلال يتفاوت،

والإيمان يتفاوت، والأعمال تتفاوت: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} [الأنعام: ١٣٢]،

فمثلاً: جنس الواجب أفضل من جنس المستحب، ففريضة الصلاة أفضل من نافلتها،

وقراءة الفاتحة أفضل من قراءة السورة التي بعدها؛ لأن قراءة الفاتحة ركن وما بعدها غير ركن،

وصيام رمضان أفضل من تطوع بصوم في أي زمن، وهلم جرا.

وجنس الفريضة أفضل من جنس النافلة، ودليل هذا قوله تعالى في الحديث القدسي:

"ما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه"

ثم أجناس الأعمال تختلف، فبعضها من أركان الإسلام، وبعضها ركن مؤكد، وبعضها دون ذلك، وبعضها ليس من أركان الإسلام.

إذا: أعمال أهل الخير وأعمال أهل الشر كلها تتفاوت.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} النساء: ١٤٥

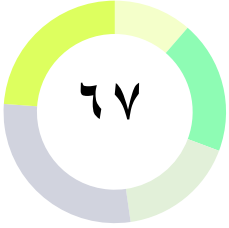
يستفاد من قوله: {في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} أن المنافقين أشد كفرةً من بعض الكفار الأصليين ولا شك، والمنافق أشد؛ لأن المنافق جمع بين الأمرين، بين الكفر والخداع، ولهذا قال الله تعالى: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ} [المنافقون: ٤] فحصر العداوة فيهم لما يحصل منهم من المفاسد العظيمة.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ} النساء: ١٥٠

أن الكفر ببعض الرسل كفر بالجميع لقوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}،
ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥)} [الشعراء: ١٠٥]
مع أن نوحاً كان أول الرسل، ومع ذلك جعل تكذيب قومه له تكذيباً لجميع الرسل؛
لأن التكفير بالرسول كأنه تكفير بالجنس أي: بجنس الرسالة،
وإلا فما الفرق بين محمد، وعيسى، وموسى، وإدريس ونوح عليهم السلام، وما أشبه ذلك؟



{فَبِمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} النساء: ١٥٥

إثبات الأسباب الشرعية، وكذلك إثبات الأسباب القدرية من باب أولى،
لقوله: {فَبِمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ} والباء للسببية، وإثبات الأسباب المؤثرة في مسيبتها من مقتضى حكمة الله عز وجل؛
لأن الشيء لو وقع صدفة هكذا لكان سفهاً،
لكن إذا وقع الشيء مربوطاً بسببه دل ذلك على الحكمة والإتقان،
والإنسان الذي يفعل الشيء اعتباراً بدون سبب موجب له لا يعد حكيماً،
لكن الذي يفعل الشيء بأسبابه والمؤثرات فيه هذا هو الحكيم،
والله عز وجل قد ربط المسببات بالأسباب،
ولكن يجب أن نعلم أنه لقصورنا ونقصنا قد نعلم السبب وقد لا نعلمه،
إذاً: فيه إثبات الأسباب.

{فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} النساء: ١٦٠

أن الله تعالى قد يحرم بالظلم تحريمًا قدرياً، لأن الذي حصل لبني إسرائيل تحريم شرعي، قال تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} وقال: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} [الأنعام: ١٤٦] فهذا تحريم شرعي، لكن قد يحرم الإنسان تحريمًا قدرياً مع حل الشيء شرعاً، فيصاب مثلاً بمرض، فيقول له الأطباء: اترك الأكلة الفلانية، بسبب ظلمه، وقد يتهور إنسان مثلاً ويسرف في الإنفاق - والإسراف في الإنفاق أكلاً وشرباً ولبساً حرام -، والدليل: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]، فقد يسرف الإنسان، فيحرم من هذا الخير الذي أسرف فيه قدرًا لا شرعاً، بأن يصاب بمرض لا يتلاءم معه أن يأكل كل شيء، أو أن يلبس كل شيء، وهذا نسيمه: تحريمًا قدرياً.



{رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} النساء: ١٦٥

ينبغي للإنسان الداعي إلى الله أن يعامل الناس بما تعامل به الرسل أقوامها، فتارة يبشر، وتارة ينذر؛ لأنه إن سلك سبيل البشارة دائماً أدخل الناس في الإرجاء، وإن سلك سبيل الإنذار دائماً أدخل الناس في القنوط واليأس، فلذلك يجب أن يكون الإنسان حكيماً يراعي أحوال الناس، فمثلاً: إذا رأى الناس قد انهمكوا في أمر محرم فالأولى هنا أن لا يسلك سبيل البشارة فيوقع الناس في الأمن من مكر الله، بل يسلك سبيل الإنذار ويشدد، فإن لم ينفع فيهم الوعيد الديني فالردع السلطاني، ولهذا كان من سياسة عمر - رضي الله عنه - أنه كان يستعمل الردع السلطاني إذا لم يصلح الناس بدونه، ولهذا ورد أنه أمر بقتل شارب الخمر في الرابعة إذا لم يرتدع، قال شيخ الإسلام: إن هذا حكم ثابت إذا لم ينته الناس بدونه



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النساء

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} النساء: ١٧٤

وقوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} ،
{نُورًا} يعني به: القرآن، والنور ضد الظلمة.

وهو نور معنوي لا شك؛ لأن به يستتير القلب والوجه، وفي القبر والبعث،
فالقرآن كله نور،
ولكنه يحتاج إلى تأمل، وإلى تدبر لمعانيه، وإلى عمل به

انتهى بحمد الله وفضله جمع بعض فوائد التفسير من

سورة

(النساء)

والمنتقاة من كتاب تفسير القرآن الكريم للشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين

نسأل الله تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر

@fwayidd1